أيها الأفارقة إلى اللقاء فى جيبوتى..

موسى بدوى

● ● عندما كنت أحضر، فى شهر فبراير الماضى، مؤتمر وزراء خارجية الدول الأفريقية الذى انعقد فى توجو، تمهيدا للقاء المؤتمر العربى الأفريقى الأول الذى جرى فى القاهرة بعد ذلك، وقعت مشادة بين عدد من الدول الأفريقية الصغيرة..

وكان موضوع الخلاف يومئذ، هو: أى الدول يقع عليها الدور فى تنظيم مؤتمر القمة الأفريقى التالى فيها. ومع أن ذلك يتكلف أموالا طائلة وتفرغا كاملا لكافة أجهزة الدولة المضيفة استعدادا لتنظيم المؤتمر، فإن الدول الأفريقية الصغيرة تتنافس مع بعضها البعض، لكى تنال هذا الشرف.

ووقعت منظمة الوحدة الأفريقية ساعتها فى ورطة:

● ● فأى هذه الدول المتنافسة يقع عليها الاختيار؟

وقد اقترحت بعض الوفود للخروج من هذه الورطة إجراء قرعة بين الدول التى تطلب انعقاد المؤتمر فيها. ورأى البعض الآخر أن يجرى تصويت على المكان المختار.

وكانت النتيجة هى فوز دولة صغيرة فقيرة، هى: جابون. وعند ذلك تلفت بعض أعضاء الوفود إلى بعضهم، وكأنهم يتساءلون: وأين تكون جابون هذه، وما موقعها فى هذه القارة الضخمة التى لا حدود لها؟

أفريقيا.. حبيبتى!

لقد دبت الحياة فى هذه الكتلة الهائلة الحجم، من الأرض التى تسبح فوق المحيطات والبحار، وتقبع فى باطنها كنوز العالم ومواده الأولية التى توفر له أعلى مستويات الحياة. ومنذ ذلك الوقت، وهى فى حركة نشطة دائبة لا تهدأ ولا تتوقف. كأنما تريد أن تسبق الزمن، وتعوض كل ما فاتها من نوم طويل..

هذه الحياة النابضة المفعمة بالأمل، لا تقتصر على الكيانات الأفريقية الكبرى، ولا تقف عند حدود أصغر دول القارة أو أكثرها فقرا وتخلفا. إنها روح انتشرت فى كل مكان من هذا الجزء الضخم من العالم، لم يعد هناك سبيل إلى وقفها على الإطلاق.

وفى تلك الجلسة التى وقع فيها الاختيار على جابون لكى تستضيف فى أوائل الشهر القادم مؤتمر القمة الأفريقى، لاحت على وجوه أعضاء الوفد الجابونى سعادة طاغية وقد لمحتهم جميعا يضحكون من فرط سرورهم، وقد ظهرت أسنانهم بيضاء ناصعة فى وجوههم السمراء الساحرة، فهتفت يومها فى أعماقى بأن هذه هى أفريقيا الحقيقية.. أفريقيا حبيبتى!

لم أعد أخجل أنا الأفريقى الأبيض القادم من الشمال، كما كان يحدث لى وأنا لا أزال طفلا فى المدارس الأوربية التى حشت عقولنا ونحن صغار، بأن الإنسان الأفريقى هو كائن أسود لا قيمة له ولا وزن، وقد خلق ليكون فى خدمة الرجل الأوربى وتحت سيطرته...

الملاك الأسود.. والشيطان الأبيض

هذا عنوان فيلم سينمائى أخرج فى إحدى الدول الأمريكية، فليس لنا فيه أى دخل، لا أحبا ولا موضوعا. ومع ذلك، فإن كل من شاهد هذا الفيلم قد أدرك قيمة هذا الإنسان المفترى عليه. وما انطوت عليه نفسه من صفات وضعته فى رأى أمريكا البيضاء، فى صفوف الملائكة.

والواقع أن هذه الصفة يؤكدها تسامح أفريقيا إزاء أولئك الذين استعبدوها القرون الطوال، واستغلوها حتى امتصوا منها الدماء. فهى بعد أن استعادت قوتها وظهرت عملاقا يبعث الرهبة والخوف لا تعمد إلى الثأر والانتقام من الذين حاولوا قتلها، وإنما تكتفى بأن تمد إليهم أيدى الصداقة والتعاون والإخاء بل والحب.

● ● أفليست هذه هى العظمة الحقيقية؟

وهذه العظمة نفسها، هى التى تدفع دولة مثل جابون إلى تحمل أعباء إقامة مؤتمر القمة الأفريقى القادم فيها. فأين هى هذه الدولة، وما موقعها ومقدار ثرواتها؟

إنها تقع على الساحل الغربى للقارة، وتطل على المحيط الأطلسى، ويمر خط الاستواء من الجزء الشمالى الأعلى منها. وتبلغ مساحة أراضيها ٣٦٧٦٦٧ كيلو مترا مربعا، أى أكبر بعض الشىء من حجم بريطانيا.

وتحيط بها غينيا الاستوائية والكاميرون من الشمال، والكونغو برازافيل من الجنوب والشرق. وعاصمة جابون هى ليبرفيل، أى المدينة الحرة، وهى أيضا ميناؤها الرئيسى..

ومع أن مساحتها كما قلنا أكبر من مساحة بريطانيا التى يعيش فيها ٥٤ مليونا من الإنجليز، فإن جابون لا يزيد عدد سكانها عن مليون واحد.

أراض فى حاجة إلى سكان

إن جابون، مثلها مثل توجو التى زار مصر فى الأيام القليلة الماضية رئيسها (أياديما)، تضم أراضى شاسعة صالحة للزراعة. ولكن ينقصها الإنسان الذى ينتشر فيها ويستخرج ما فيها من خيرات. وعندما كنت فى توجو قمت بجولات واسعة فى أرجائها، ورأيت كيف أن التربة تكاد تنبت من تلقاء نفسها من فرط خصوبتها، وشاهدت ملايين أشجار جوز الهند الباسقة التى يتدلى من كل منها مئات الثمرات، ولا صاحب لها ولا حسيب على من يأخذ ما يحلو له منها.

وفى حديث لى مع بعض أهل توجو، لمست أنهم يرحبون بأى عدد من الفلاحين الأفارقة يأتون ليقيموا فيها، وقد سمعوا عن الفلاح المصرى الذى يستخرج الحياة من الأرض، فكان من أمانيهم أن لو جاء منهم مليون أو مليونان ليعمروا هذه البلاد، ويزيدوا من عدد سكانها الذين لا يزيدون بدورهم عن المليونين..

ولا بد أن الرئيس الترجول قد تطرق الى مثل هذه الأمور فى محادثاته مع الرئيس السادات، الذى طبقت شهرته الآفاق الأفريقية وعلق عليه الأفارقة أكبر الآمال.

● ● فهل يتقدم الفلاح المصرى على بد العون إلى أخيه فى أفريقيا، ويتقاسم معه ما فى أرضها من خيرات؟

فكرة عامة عن جابون

لقد حصلت جابون على استقلالها السياسى منذ عام ١٩٦٠، وكانت قبل ذلك واحدا من

عمر بونجو رئيس جمهورية الجابون